

تاريخ القبول: 2025/11/08

تاريخ الإرسال: 2025/05/08

تاريخ النشر: 2025/11/30

تفكيك فكر المشروع الصهيوني عند عبد الوهاب المسيري، قراءة في

كتاب: "الصهيونية وخيوط العنكبوت"

Deconstructing the Zionist Project by Abdel-Wahhab El-Messiri: A Reading of the Book: "Zionism and the Spider's Web"

عاشور بارودي.

جامعة باتنة 1، (الجزائر)، achour.baroudi@univ-batna.dz

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى متابعة أسس تفكيك المشروع الصهيوني الغربي بدءاً من ظهور فكرته لدى الساسة والمؤثرين الغربيين في القرن 19م، ونضجه كمخطط للاحتلال والهيمنة والاستعمار الاستيطاني في جغرافيا الشرق الأوسط وبالضبط في فلسطين، ثم استخدام الكتلة البشرية اليهودية أداة لتنفيذ هذا المشروع بمبررات ذاتية وتاريخية إلى صياغة إطار سياسي تنظيمي يحقق هذا الهدف من خلال سلسلة الوعود الحكومية والموافقات الإمبراطورية بين أصحاب هذا المشروع واستغلال الظروف الراهنة في تلك الحقبة إضافة إلى اعتماد الكاتب على سندات تاريخية وعرقية وسياسية ودينية للتدليل على تفاصيل هذا المشروع وتوظيفه لقاموس خاص ودقيق من المصطلحات التي تكشف تفاصيل خيوط العنكبوت الصهيوني مع الإشارة إلى كل التنبؤات والتوقعات التي توحى بنهايته.

الكلمات المفتاحية: تفكيك، مشروع صهيوني، عبد الوهاب المسيري، تركيب، زوال

المشروع

Abstract :

This article aims to trace the foundations of the deconstructing of the Western Zionist project, starting with the emergence of its idea among Western politicians and influencers in the 19th century, and its maturation as a plan for occupation, domination, and settler colonialism in the geography of the Middle East, specifically in Palestine. Then, the use of the Jewish masses as a tool to implement this project with subjective and historical justifications, leading to the formulation of a political and organizational framework that achieves this goal through a series of governmental promises and imperial approvals between the owners of this project, exploiting the current circumstances of that era, in addition to the author's reliance on historical, ethnic, political, and religious documents to demonstrate the details of this project and his use of a special and precise dictionary of terms that reveal the details of the Zionist spider's web, while pointing to all the predictions and expectations that suggest its end.

Keywords: Deconstructing, Zionist Project, Abdel Wahab El-Messiri, Reconstruction, The Disappearance of the Project

المؤلف المرسل: عاشور بارودي: ACHOUR.BAROUDI@UNIV-BATNA.DZ

1 مقدمة:

اهتم عبد الوهاب المسيري منذ مدة طويلة بالمسألة اليهودية من جوانب عديدة: عرقياً، ودينياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، ومنها انتقل إلى مسألة الصهيونية باعتبارها استعماراً غريباً حديثاً اتخذ من اليهود الوسيلة المناسبة لتنفيذ مشروعه. وكان من نتيجة هذه الدراسة والمتابعة أن أخرج موسوعته " اليهود واليهودية والصهيونية"، الذي يُعد -بحق- من أبرز الأعمال العلمية المنجزة حديثاً من حيث تأريخ الظاهرة وتحليلها اجتماعياً وثقافياً، وهي بحق جهد استثنائي عميق لا يكاد

يضاهي نظرا إلى دقته وتشريحه وشموليته لكل الفروع والأجزاء، ولا شك أنه سيبقى مرجعاً معرفياً أصيلاً لأجيال وأجيال.

أما كتابه هذا "الصهيونية وخيوط العنكبوت"¹، فهو مجموعة مقالات كتبها في سنواته الأخيرة مع مطلع القرن 21م، وجمعها متحدة في كتاب واحد، أعاد فيها - بوجه عام - كثيراً من أفكار ومعلومات تلك الموسوعة، مع توظيفه لعوامل جديدة في التحليل والتشريح، كالعامل الإعلامي، والعامل الرقمي، والعامل السياسي.

وقد صاغه في ستة عشر فصلاً، بدأها بفصل "الديموغرافيا اليهودية"، وأنهاه بفصل "نهاية إسرائيل". وفي خلال تلك الفصول، عمل على تشريح عدد كبير من المصطلحات التوظيفية والإشكالية والمزدوجة الدلالة، ومن ثم إعادتها إلى المدلول الحقيقي الكاشف، لمقصود المؤسسة الرئيسة، وهي الصهيونية.

وفي هذه الفصول كثير من النقاط والاعادات والتكرارات، بسبب أنها مقالات مستقلة كُتبت في فترات متباعدة أو متلاحقة، لكنها في النهاية تصب في فكرة واحدة، وهي المسماة بالصهيونية وخيوط العنكبوت.

وفيما يلي تقديم لأهم عناصر المداخلة ضمن تفكيك المشروع الصهيوني:

2 خاصة عبد الوهاب المسيري في هذا المشروع²

هذا سبب خاص ومتميز، لأن صاحبه قد تخصص في الأدب الإنجليزي قبل أن ينتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويتم دراسته هناك، ويحصل على شهادته منها. وهذا يبين لنا بوضوح كيف كانت اللغة الإنجليزية أبرز أدواته للخوض في غمار الاستغراب والتعرف على العقل الغربي وثقافته، وبخاصة عند انتقاله إلى أمريكا واستقراره هناك لسنوات طويلة، حيث استبطن المجتمع الغربي في كل مستوياته، وبخاصة منها فئة المجتمع اليهودي، وكذا اقترابه أكثر إلى العقل الغربي ذي النزعة المادية الاحتلالية، وبخاصة في مستواه السلطوي المنبثق من عقدة التمركز

حول الذات والشعور بالهيمنة، ما أدى إلى انتاج مشروع الصهيونية لتنفيذ الهجمة الحديثة³.

وبمرور الوقت، اكتملت قناعة المسيري بالتوجه إلى الاشتغال على تفكيك هذا العقل الغربي الحديث، الذي هو في النهاية امتداد طبيعي لحروب الفرنجة على العالم الإسلامي، في الشرق وفي الغرب، من القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

إضافة إلى هذا، فإن المسيري قد قضى حياته كلها في أحلك فترة تاريخية، كان شاهداً فيها على غزو واحتلال الجيوش الأوروبية الأمريكية للبلاد العربية والإسلامية، وإنفاذ وصايتها عليها، وإبقائها على تبعيته إلى اليوم. فكان من الطبيعي على أي فرد ينتمي إلى هذه الأمة أن يتحرك ذاتياً نحو هذا الفعل الشنيع، للرد عليه بالحفر ثقافياً وفكرياً، في كشف خيوط المؤامرة وفضح أساليب الاستعمار، فاكتمل عنده السببان الذاتي والموضوعي لمباشرة الدراسة. ولا شك أنه ليس أفضل من فهم الظاهرة كتفكيكها من الداخل، ولذلك تعمق المسيري في لغتها وثقافتها وتاريخها ومستنداتها العلمية.

3 عتبة العنوان والواجهة

يُعد الكتاب من الحجم الكبير نسبياً، إذ يمتد على مساحة 574 صفحة ، ويجمع عدداً معتبراً من المقالات التي كتبها المؤلف في مطلع هذا القرن إلى غاية 2006، تاريخ صدور الكتاب، يتقدمها فهرس ومقدمة، وهي منتظمة في 16 فصلاً، لكل منها عنوان مستقل، يعالج قضية من القضايا.

وتندرج هذه الفصول تحت عنوان عام للكتاب هو "الصهيونية وخيوط العنكبوت"، ويتضح منه أن المستهدف من الدراسة هو المنظومة الصهيونية من حيث فكرها، ومخططاتها، وأدواتها. أما العبارة الثانية "وخيوط العنكبوت"، فهي عبارة

أدبية مجازية تدل على أن الصهيونية تشبه العنكبوت في نسج العلاقات بين مختلف الوسائل، ووضع الحبال في كل مكان يمكن أن تصطاد فيه الفريسة، وهي صورة تخفي وراءها المكر، والتوحش، والسميّة، والقتل، والافتراس، وهي صفات مطابقة فعليًا للمنظمة الصهيونية الأوروبية الأمريكية الساعية منذ نشوئها في القرن 19 إلى احتلال الشرق الأوسط، والاستحواذ على منابع الثروة والكنوز، باستعمال كل الوسائل والذرائع، ومنها المغالطات السياسية، والمدنية، والعرقية. والدينية.... غير أن هذه الخيوط، من جهة أخرى، قد تدل على ضعف هذا المشروع وهوانه، كما هو في نظرية السيد حسن نصر الله⁴، بأن إسرائيل هي "بيت العنكبوت"، "وَأَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِئْتُ الْعَنْكَبُوتِ"⁵.

أما صفحة الواجهة، فهي تحمل ألوانًا عديدة داكنة يجمعها حقل دلالي واحد، هو الإبهام، والخطر، والخوف، والضبابية، ويبدو أفقه مميّنًا ومسدودًا، نظرًا لداكنة الألوان وكثافتها، بدءًا من الأسود الحالك، يليه شريط في أعلى الواجهة، يتلوه شريط من اللون الأزرق النيلي الداكن. وفي الوسط، صورة تعبر عن فحوى هذه المنظمة، في شبه دائرة حمراء داكنة تميل إلى السواد، يتوسطها شريط عريض من اللون الممزوج بين البني والرمادي، يحمل صورة خلفية لصليب تكاد تغطيه نجمة سداسية، رمزية اليهود. وأمام هذين الرمزتين، تنتصب صورة المسجد الأقصى في الأسفل، ثابتة لا يغطيها شيء، في نصوع تام. وفي ختام الصورة، شريط نيلي أزرق داكن آخر، ويتخلل وسط الصورة وأعلىها خيوط العنكبوت التي تمتد في الزوايا والجدران، كما هو الحال في الغيران والحفر والنتوءات المظلمة. وهي صورة معبرة بحق عن السعي المحموم لهذه المنظمة الخبيثة لتوظيف المسيحية واليهودية في الصراع من أجل احتلال فلسطين بالذات، والهيمنة على المنطقة، واستنزاف ثرواتها. لكن ثبات صورة المسجد الأقصى في أسفل الواجهة سيكون الصخرة التي تتحطم عليها كل هذه

الجهود الخبيثة، وتتلاشى خيوط العنكبوت الهينة الضعيفة، وأن الصراع سينتهي بزوال كيانه المصطناعي. وما معركة طوفان الأقصى إلا أفضل دليل على ذلك، في نفس الوعي المزيف، واستعادة الثقة الزائلة، ونفض الغبار عن سنين النسيان، وتعرية كل المفاهيم الباطلة، ووضع صراع المحتل والضحية في الواجهة، وعلى رأس قائمة أولويات الأمة، باعتبار شرف المكان والرمز.

4 حصيلة الفصول

تتكون أقسام الكتاب من 16 فصلاً، تعرض إلى مكونات الفكرة بالتفصيل، بدءاً بديموغرافية اليهود إلى زوال إسرائيل. وهذه حوصلة عنها:

- **الفصل الأول⁶:** بعنوان "الديموغرافية اليهودية"، وتدرج تحته 8 مباحث، وفيه عرض الكاتب لعدد نسمة اليهود من العصور الأولى (1000 ق.م) إلى عصرنا الحديث، وتباين الأرقام في ذلك بين انخفاض وزيادة لأسباب تاريخية وسياسية وبيئية، كما أرفدها بمسألة المنفى والهجرة والشتات، والمعروفة اصطلاحاً "بالدياسورا"، مع تحليل أسبابها ونتائجها. وصولاً إلى القرن 19 ميلادي، حيث تأسست الفكرة الصهيونية والتخطيط للتخلص من الكتلة البشرية اليهودية في أوروبا على يد زعماء الاحتلال الغربي، وخصوصاً رئيس حكومة إنجلترا اللورد بلفور. ثم عرض لمفهوم "اليهودي الصفر"، الذي لا يعني شيئاً بسبب اضطراب هذا المفهوم وتلاشيه.

الفصل الثاني⁷: بعنوان "الهجرة والنزوح"، وتدرج تحته أيضاً 8 مباحث، تدور حول مسألة الهجرة الاستيطانية، والشتات الدائم، والانعزالية، وصعوبات هذه الهجرة، التي تتحول إلى هجرة عكسية بسبب عدم الأمن، وكذلك مسألة البحث عن يهود هامشيين في الهند وغيرها لتهجيرهم دون أن تفلح تلك الجهود.

الفصل الثالث⁸: بعنوان "جذور الاستعمار الاستيطاني الصهيوني"، ويندرج تحته 13 مبحثاً، وهي تدور حول كون اليهود جماعة وظيفية تخدم بشكل مباشر غرض الاستعمار الغربي، وهو الاحتلال والهيمنة على الأراضي والشعوب الضعيفة، في إفريقيا وآسيا بدرجة أولى. إضافةً إلى كيفية تشكل الفكرة الصهيونية قبل بلفور وبعده، وصدور الوعود من بلفور إلى بوش قبل سنوات، ثم إلى وعود ترامب في أيامنا هذه. وعليه، تكمن أهمية مستقبل العالم الإسلامي في مستقبل فلسطين.

الفصل الرابع⁹: بعنوان "صراع المصطلحات والمفاهيم"، ويندرج تحته 10 مباحث، تعالج مغالطة المفاهيم التي تروج لها الدعاية الكاذبة المخادعة، كعالمية الصهيونية، ومفهوم الإرهاب في نظر الخطاب الصهيوني، ومفهوم المقاومة، وكيفية فهم الخطاب الصهيوني، والفرق بين العبري والصهيوني والإسرائيلي واليهودي، وكذلك فضح الصهيونية ذات الديباجة المسيحية.

الفصل الخامس¹⁰: بعنوان "الإعلام الصهيوني"، ويندرج تحته أربعة مباحث وهي تعالج الفرق في المدلول بين الصورة المجازية التي يصدرها الإعلام، وحقيقة الفرد والمجتمع في واقع الاحتلال الصهيوني، حيث لا يوجد أي مقوّم للهوية الشخصية سوى المقوم المادي البحث.

الفصول السادس والسابع والثامن¹¹: وهنا يدخل المؤلف في سلسلة من الخرافات المتعلقة بالقومية اليهودية، وهي: خرافة القومية اليهودية، وخرافة الهوية اليهودية، وخرافة الشخصية اليهودية، ويندرج تحتها 30 مبحثاً، تعالج أساساً مسألة الروابط بين هذه المكونات، وهي روابط منعقدة تماماً، إذ لا يوجد أي سبب يجعلها تترايط فيما بينها أو تشعر أنها من عرق واحد أو دين واحد أو ثقافة واحدة. وهذا ما يكشف بسهولة تفكك هذا التجمع الاستيطاني وهشاشته. ولعل من أبرز الأسئلة في

هذا المقام هو سؤال: من هو اليهودي؟، حيث ينتهي الجواب إلى اللا شيء، أو إلى اليهودي الصفر.

الفصل التاسع¹²: بعنوان "ثقافات الجماعات اليهودية"، والذي تندرج تحته تسعة مباحث، تعالج الخصوصية الثقافية لليهود، والتي لا تكاد تحقق أي استقلالية نظراً لتعدد هذه الجماعات¹³ من حيث انتمائها إلى مناطق مختلفة متباعدة في العالم، والتي تحمل في الغالب ثقافة تلك البلاد، إضافةً إلى الولاء المطلق للغرب أو لأمريكا، مما يؤدي في النهاية إلى أمركة النموذج الإسرائيلي.

الفصل العاشر¹⁴: بعنوان "الإدراك الصهيوني للواقع" ويندرج تحته 17 مبحثاً، تعالج في مجملها الانقسام الحاصل في الرؤية الصهيونية بين أحلام المحتلين ومعطيات الواقع، رغم تزييف المنظومة الصهيونية للخريطة الإدراكية لدى الجمهور الصهيوني، كتصديقهم لخرافة أرض الميعاد، ورفضهم الإيمان بوجود شعب فلسطيني على أرضه، تصديقاً لمقولتهم الكاذبة: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض". لكن هذا كله تعرض للاهتزاز والتلاشي بسرعة، نظراً لعدم تجانس خريطتهم الإدراكية.

الفصل الحادي عشر¹⁵: بعنوان "رحلة في العقل الإسرائيلي" ويندرج تحته 10 مباحث، وهو فصل كسابقه يعالج التناقض الكبير بين ما تحاول الصهيونية زرعه في نفوس المستوطنين الصهاينة بخصوص الصفات الشخصية، كالشعور بالقومية والوطنية، وبين الواقع الحقيقي الذي يكذب هذه الادعاءات، خاصة عند الجيل الجديد الذي لا تحكمه إلا المنافع المادية، ما أدى إلى تساقط أساطيرهم التاريخية والقومية.

الفصل الثاني عشر¹⁶: بعنوان "العداء لليهود واليهودية" ويندرج تحته 14 مبحثاً، وتعالج في مجملها مسألة نقيضة وعجيبة، وهي العداء الموجه إلى اليهود ودولتهم المصطنعة في مختلف الفضاءات، في الغرب، و عند العرب، و عند اليهود أنفسهم.

وذلك نظراً لأسباب عديدة، منها: الصفات النفسية الوضيعة الخاصة بهذه الطائفة، وكذا كونهم جماعة وظيفية في يد السلطات الغربية تؤدي ما هو مطلوب منها، وبسبب عنصريتهم والرغبة في التخلص منهم ومن خطرهم في الغرب باعتبارهم "حيوانات طفيلية"، ناهيك عن التيار الديني فيهم، والذي لا يؤمن بدولة يهودية، بل يعتقد أن اليهود قد حكم الرب عليهم بالشتات.

الفصل الثالث عشر¹⁷: بعنوان "الصهيونية والنازية" ويندرج تحته 15 مبحثاً، تعالج في مجملها مسألة الخداع الذي قامت به المنظمة الصهيونية في صناعة خرافات خيالية حول الإبادة المزعومة لليهود الأوروبيين في الحرب العالمية الثانية والمبالغ فيها على يد النازيين الألمان. ولكن هذه المنظمة، تناست أن حالات الإبادة هي ظاهرة متكررة في ثقافة الإنسان الغربي، اتخذها منذ قرون في إبادة سكان البلاد المحتلة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، بل واستعملها الصهاينة الجدد (عن طريق ما يُسمى باليهود) في فلسطين منذ عام 1948.

الفصل الرابع عشر¹⁸: بعنوان "خرافات البروتوكولات" ويندرج تحته ستة مباحث، تشرح في مجملها مدى زيف كتيّب البروتوكولات ، الذي ظهر فجأة سنة 1907 بعد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897. و أنه في الأساس ليس سوى كتاب لأحد الصحفيين الروس، الذي يرغب في خدمة النظام القيصري في أخريات حكمه، وصرف الناس عن فكرة الثورة والتغيير. ولكن المنظمة الصهيونية استفادت منه بنشره، ونقل صورة القوة اليهودية -رغم زيفها وكذبها- وتحالفها مع الماسونية لتخويف الضعاف واستسلامهم ، من أجل الابتعاد من طريق تهجير اليهود وتوطئتهم في فلسطين.

الفصل الخامس عشر¹⁹: بعنوان "ولكنه ضحك كالبكاء"، ويندرج تحته أربعة مباحث تعالج في مجملها مسألة الازدواجية في الرؤية الصهيونية والتناقض الصارخ

بين فكرهم وأحلامهم وبين حقيقتهم والواقعية معالجةً رمزيةً إذ تدفعهم أوهامهم إلى الاعتقاد في مباركة الرب لسلوكهم المنافي للقانون العالمي الفطري، في الزراعة مثلاً أو مواجهة الأمراض، مما أودى بهم إلى الحرص على نقاء العناصر وفصل الأجناس فصلاً تاماً، وقياسهم ذلك على أنفسهم في نقاء عرقهم وإيجاد مسألة "الحيثو" والاحتماء بجدران وهمية اصطناعية توفر لهم الحماية وتعطيهم فرصة استئصال غيرهم من خلفها.

الفصل السادس عشر²⁰: وهو الفصل الأخير من الكتاب، وجاء بعنوان "نهاية إسرائيل"، وهو متناسب سياقياً مع ما سبقه، لأنه يعبر عن كيان اصطناعي مزروع بطريقة ميكانيكية في بيئة خاطئة، مما يوحي بحتمية موته وزواله. وقد اندرج تحته 11 مبحثاً تعالج في مجملها قضية مصيرية أساسية للكيان الصهيوني الاحتلالي الاستيطاني، وهي النهاية المحتومة والزوال والاندثار. وذلك عبر نظرة موضوعية لا ذاتية فيها ولا عاطفية، بل اعتمد فيها الكاتب على مستندات عملية منطقية وقوانين تاريخية واجتماعية، منها الأعمال الجهادية ضد الاحتلال الصهيوني من قبل أصحاب الأرض، وكذلك ما يعترى الدولة المصطنعة من عوامل التآكل الذاتي الداخلي، وافتقادها للروح الأممية، وانعدام الوجدان القومي.

وبهذه الصورة الإجمالية، حصرت الفصول السابقة فكرة الصهيونية منذ نشوئها مخططاً نظرياً، إلى خطة تنفيذية، إلى حتمية زوالها وانتهائها.

5 أسس تفكيك المشروع ومستنداته

لقد تبنى عبد الوهاب المسيري منهجاً تفكيكياً مركباً لتحليل فكرة المشروع الصهيوني من أجل الوصول إلى أدق النتائج واستنباطها بعمق، مشيراً إلى ذلك بقوله: "أما العملية البحثية فهي عملية تفكيكية تركيبية في آنٍ معاً، تهدف إلى تفكيك

المفاهيم والمصطلحات الصهيونية الغربية لتظهر ما فيها من تحيزات عنصرية إمبريالية، ثم تقترح إطارًا تفسيريًا له مقدرة تفسيرية أعلى²¹.

ولتحقيق هذا، كان منهجه متمسكًا بالموضوعية في استعراض الحقائق ومراكمتها ومقارنتها وتحليلها لغويًا وحضاريًا، ثم استنباط المعنى الأقرب إلى الحقيقة إن لم تكن هي بعينها. وقد تمثلت هذه الأسس في مجموعة من المستندات التاريخية والسياسية والاجتماعية واللغوية والإعلامية والدينية، وفيما يلي بعض شواهدا.

المستندات التاريخية:

يتمثل هذا العنصر في تلك المعطيات التاريخية في شكل أحداث أو مناسبات أو سياقات، كانت سببًا في خدمة فكرة المشروع الصهيوني، عبر تفسيرها لنتائج مخرجات الأسباب المتقدمة. ومن أمثلة ذلك توظيفه للتواريخ الزمنية والوقائع الفعلية في أمكنتها، وذكر الشخصيات الرئيسية، وربط تلك العناصر بعضها ببعض، مثل حديثه عن رحلة الشتات والمنافي التي خاضها الشعب العبراني عند التهجير الآشوري والبابلي (721 ق.م - 517 ق.م²²). أما بعد مؤتمر فيينا عام 1815، فقد حدث انفجار سكاني بين اليهود²³، وهكذا يستمر في ذكر الأرقام والتواريخ ليفسر حركية هذه الكتلة البشرية وأسباب زيادتها أو نقصان أفرادها حسب العوامل المؤثرة التي تعنبرها.

أما عند حديثه عن وعد "بلفور"، فإنه يورد النص والتاريخ باليوم والشهر والسنة (1917/11/2)²⁴. غير أنه يورد قبله وعدان بلفوريان، (ألماني و روسي)²⁵، أولهما من "دوق إونيورج" باسم حكومة قيصر ألمانيا 1898 إلى هرتزل، جاء فيه: "أن القيصر على الاستعداد لأن يأخذ على عاتقه مسؤولية محمية (يهودية) في حالة تأسيسها"، والثاني من وزير الداخلية الروسي "فون بيليفيه"، إلى هرتزل جاء فيه: "ما دامت الصهيونية تحاول تأسيس دولة مستقلة في فلسطين وتنظيم هجرة اليهود

الروس، فمن المؤكد أن تظل الحكومة الروسية تحبذ ذلك، وتستطيع الصهيونية أن تعتمد على تأييد معنوي ومادي من روسية.

وبهذا الشكل من تنسيق الشواهد التاريخية، يسهل تفسير الغرض من الإجماع الأوروبي - الروسي على تهجير اليهود من أوروبا، وهو إفراغها منهم والتخلص من جماعتهم، ناهيك عن الهدف الاستعماري الاحتلالي. وفي الفصل الأخير "نهاية إسرائيل"، يورد الكاتب مثلاً يقارن فيه بين المشروع الإفرنجي (الصليبي) والمشروع الصهيوني من أجل استتباط نتيجته، ويقول على لسان أحد الصحفيين الإسرائيليين "أفيري"²⁶: "بعد أن احتل الصليبيون القدس عام 1099 توسعوا في كل الجهات حتى تركيا والأردن ورفح وعسقلان، وبدل التوسع أكثر، أخذ الدولار يدور شيئاً فشيئاً، وأخذت القلاع تسقط الواحدة تلو الأخرى، حتى جاء صلاح الدين وانتصر عليهم عام 1187، ثم قُذِفَ بهم إلى البحر نهائياً عام 1291".

وبنفس التجربة، أُعيد الاحتلال بصيغة الصهيونية عام 1948، ولأن نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج حتماً حسب قانون السببية، فإن المنتظر من هذا المشروع هو الفشل والانهاء إلى الزوال. وعلى هذا المنوال، تمتد الشواهد على طول الكتاب منتظمة في انسجام يخدم الغرض التفسيري لهدف المشروع الصهيوني وغايته.

المُستندات السياسية:

وفي هذا العنصر، قدّم المؤلف شواهد كثيرة على امتداد الفصول عن الإطار السياسي الذي كان يرمى هذه الفكرة، وهو إطار أوروبي أمريكي بالأساس. فبعد التأسيس الذي قاده إنجلترا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، تحولت الحماية والدعم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

وكما كانت الوعود تصدر عن الحكومات الإنجليزية سابقاً، استمرت أيضاً الوعود الصادرة عن الإدارات الأمريكية منذ الأربعينيات إلى عهد "بوش"، وصولاً إلى عهد "ترامب" اليوم، بحماية الدولة الصهيونية ودعمها المطلق. وكشاهد على ذلك، يورد الكاتب وعد بوش الجديد²⁷ في تصريحاته يوم 2004/4/14 في لقائه مع شارون، والتي انتهت كلها إلى ما سَمَّاه "الحقائق الجديدة" أو "سياسة الأمر الواقع"، وهو يقصد بذلك القبول بما تفعله الدولة الصهيونية من مزيد من الاعتداء والاستيلاء على الأرض، والقتل، والتدمير، وإلغاء أي فرصة لقيام دولة فلسطينية، حتى سُمِّي هذا التصريح بـ"وعد بلفور الجديد". وهو وصف دقيق يضع تصريحاته في إطارها الاستعماري الغربي الأوسع.

وشاهد آخر على غرض الغرب في التخلص من الكتلة البشرية اليهودية هو استصدار اللورد بلفور، حينما كان يشغل منصب رئيس الوزراء في بريطانيا، "قانون الغرباء" عام 1905، لمنع اليهود من دخول بريطانيا، ولطرح الحل الغربي للمسألة اليهودية، وهو ترحيلهم وتوطينهم في فلسطين.²⁸

وقد سبق هذا مؤتمر لندن عام 1840²⁹ بين الدول الأوروبية، التي قررت الإجهاز على "محمد علي"³⁰، حاكم مصر، إن لم يتخل عن أطماعه في تشكيل إمبراطورية عربية صغيرة تضم الشام ومصر، بما فيها فلسطين والأردن ولبنان. فاضطر إلى التوقيع على المعاهدة التي بموجبها يكتفي بحكم مصر فقط. وهنا بدأ التفكير في تقسيم الدولة العثمانية واقتسام تركتها بين إنجلترا وفرنسا، وجعل هذه المنطقة قاعدة استعمارية متقدمة لاستثماراتها ونشاطها.

المستندات الاجتماعية:

وفي هذا العنصر، تعمق المؤلف كثيراً في تعقب خصائص الفرد³¹ والجماعة، وفصل في علاقة اليهودي بالصهيوني، وبذلك شرح واقعهم وبين انقساماتهم

وتناقضاتهم، وكذلك مكرهم. ففي الفصول السادس والسابع والثامن، تحدّث عن سلسلة من خرافات القومية والهوية والشخصية اليهودية، إذ لا تطابق مطلقاً بين هذه المفاهيم موضوعياً وواقعياً في الحالة العملية، لأن القومية عندهم قوميات، والهوية هويات، والشخصية شخصيات، والثقافة ثقافات، لا جامع بينها إلا المادة والمصلحة.

ومجرد قولنا "خرافة" فهو إشارة إلى الوهم والكذب الذي يتسم به هذا الادعاء، من أن الصهيونية³² هي القومية اليهودية، وأنها حركة لتحرير يهود العالم وإرجاعهم إلى وطنهم الأصلي الموعودين به. وهذا كله افتراء، لأن اليهود منذ وُجدوا وهم في حالة هجرة مستمرة إلى مختلف بقاع الأرض. يقول المؤلف³³: "ومن الثابت أن تواريخ الجماعات اليهودية في العالم، أو الشعب اليهودي كما يقول الصهاينة، كانت تتسم، خصوصاً في العالم الغربي، بالحركة والهجرة الدائمة من مكان إلى آخر. فاليهود هاجروا إلى الأندلس، وحينما طردهم العرب اتجهوا إلى هولندا والقاهرة، واستوطن بعضهم ألمانيا، ومنهم من انتقل إلى بولندا وروسيا. ولم يحدث قط أن هاجر اليهود جماعياً، بشكل يُعتدّ به إلى فلسطين أو إلى وطنهم القومي المزعوم."

وهكذا يظهر أنهم مجرد أقلّيات غير منسجمة، تنتقل في العالم من مكان إلى آخر حيث تنشّد الاستقرار. ومن أبرز المفاهيم المنفصمة المتناقضة مفهوم "اليهودي". يقول المؤلف³⁴: "ويتضح هذا، على سبيل المثال، من التأمل في الدلالات المختلفة لمصطلح بسيط مثل 'اليهود'، وهو مصطلح خلافي يخفي تحيزات مختلفة.... فكلّمة 'يهودي' يمكن أن تُستخدم للإشارة إلى العبرانيين القدماء، جماعة عرقية أو إثنية (قوم)، أو فهم جماعة دينية (شعب مختار). كما تُستخدم الكلمة للإشارة إلى اليهود الحاخاميين، والقرائيين، والسامريين، ويهود الصين وإثيوبيا....، وغني عن القول إن استخدام الدال 'يهودي' بهذه الطريقة يجعله عديم الفائدة، إذ يشير إلى حقل دلالي متضارب ومدلولات مختلفة. وهذا كله يُبيّن أنهم ليسوا أصحاب

عرق واحد³⁵، ولا قومية واحدة، ولا جماعة دينية واحدة؛ إذ منهم الأرثوذكس المتطرفون، والمتمدينون، والمعادون للدين، والتقليديون، والعلمانيون، والعلمانيون المحافظون على بعض التقاليد، والبيض، والسود، والسُمر، ومختلف الألوان، ومنهم العرب والعجم. فأين الوحدة والانسجام؟

المُستندات اللغوية

وفي هذا العنصر، يستخدم المسيري التحليل المعجمي أو الدلالة اللغوية بمستوياتها في تفكيك المصطلحات المتداولة في الحقل الصهيوني، وذلك بإبطال زيف مقصودها وإرجاعها إلى معناها الصحيح. وقد خصّص فصلاً كاملاً لهذا الغرض، وهو الفصل الرابع³⁶، الذي فكّك فيه عدداً من المصطلحات التي تُرجمت أو نُقلت نقلاً محرفاً يُخفي حقيقة الوجه المتوحش للإمبريالية الغربية، مثل مصطلح "عصر الاكتشافات" (من ق 16م إلى ق 18م)، والذي يعني اكتشاف الإنسان الغربي لأرض فيها أشجار وأحجار وأزهار، دون الحديث عن إنسان آخر غير الإنسان الغربي، وتهميشه، مما يُبيّن تمركز هذا الإنسان الغربي على ذاته وإنكاره لغيره واعتبار نفسه مركزاً للكون.

و "العالم الجديد بالنسبة إليه، هو "أرض بلا شعب"، مما يجعله يسمح لنفسه بإبادة غيره من الشعوب، كما فعل بسان أستراليا وأمريكا الشمالية. والأصح عند المسيري أن يُترجم المصطلح إلى "عصر الاكتشافات الاستعماري الاستيطاني الإبادي".

ومثل مصطلح "الحرب العالمية الأولى" و"الحرب العالمية الثانية"، والذي ينبع من التمرکز الذاتي للغرب حول نفسه واعتبار نفسه هو العالم، وما دون ذلك فليس بشيء، مع أن الحرب قد وقعت بينهم من أجل الهيمنة واقتسام الغنائم. فالأصح أن تُسمى "الحرب الغربية الأولى التي يُقال لها العالمية"، و"الحرب الغربية الثانية".

وكذلك مصطلح "الرأي العام العالمي"، الذي لا يكون عالمياً في الغالب، بل أوروبا وأمريكا فقط، على اعتبار أن الغرب هو العالم وما دونه فلا شيء، فالأخرى إذاً أن يُسمى "الرأي الغربي" أو "الرأي الأوروبي الأمريكي".

ونفس المشكلة مع مصطلح "الحروب الصليبية"، الذي تُرجم دون وعي، وهو مصطلح مخادع استعمله الغزاة الفرنجة ليتستروا به على أغراضهم الحقيقية في النهب والسيطرة، ورفعوا شعار المسيحية لإيهام مسيحيي الشرق بأن الغزاة جاءوا لينقذوهم من اضطهاد المسلمين، لكن سرعان ما انكشف زيفهم وظهرت حقيقتهم. وقد أصاب المؤرخون العرب القدامى - في نظر المسيحيين - عندما سموا هذه الحملات بـ"غزوات الفرنجة".

وهكذا فعل المسيحيين مع باقي المصطلحات، كـ"الصهيونية العالمية" التي لم تكن عالمية إطلاقاً، ومصطلح "الإرهاب" في الخطاب الصهيوني، و"العنف" و"الإعلام العام"، والذي يحمل مغالطة بأن الطرفين متكافئان، و"ضبط النفس"، وكلها مصطلحات مُضللة غايتها التعمية على جرائم الاحتلال الصهيوني.

ومن لفئاته اللغوية الدلالية، شرحه لكلمة "انتفاضة"³⁷ وتفضيلها على كلمة "ثورة"، نظراً لمعناها وعمقها، لأنها من "نَفَضَ"، مثل "نفض الثوب"، ويعني حركة ليزول عنه الغبار أو نحو ذلك، وهذا وصف دقيق للاستعمار الاستيطاني الصهيوني، الذي لم يضرب جذوراً في تربتنا، فهو مثل الغبار الذي علق بالثوب الفلسطيني ولم يمس الجوهر.

المستندات الإعلامية:

يتمثل هذا العنصر في اعتماد المسيحيين على مصادر إعلامية عبرية في الغالب، وتصريحات الشخصيات الصهيونية، وحتى مواقعهم الإلكترونية، وبذلك يستخدم سلاح العدو لتوضيح الرؤية لدى المتلقي العربي، وفضح العدو، وإبطال زيفه، وتأكيد

حقيقة أفكاره ومشاريعه. وعلى طول الكتاب نجد شواهد لا تنقطع على هذا الاستخدام، فمن أبرز الوسائل الإعلامية: جريدة المشهد الإسرائيلي، وصحيفة يديعوت أحرونوت، ، وصحيفة "جيروساليم بوسط" وصحيفة "معاريف" ، وصحيفة "امتناع خضيرة" وصحيفة هآرتس، وصحيفة "نيويورك تايمز"، ومجلة "نيوزويك"، ومجلة ذا سبيكتاتور (من ق 18)، وواشنطن بوست، وجريدة "جويش نيوز"، وموقع "نيوز ماكس"، وموقع "ميديا مونيتورز"، وموقع "المشهد الإسرائيلي".

إضافةً إلى استدلاله بمشاهير الغرب وأعلام الإسرائيليين، أمثال "توماس إديسون"، و"توماس فريدمان"، والكاتب الصحفي "شلومو أفنيري"، و"عاموس جلوبوع"، وغيرهم كثر، ويورد لهم تصريحات وآراء في مختلف القضايا، منها المليئة بالكراهية والحدق والمكر، ومنها تلك التي تتحدث عن المصير المجهول، ومتى يكتمل الحلم المزعوم للاستقرار وتشكل الدولة الوهمية، ومخاطر ذلك، والتي يتبدى منها تمامًا الخوف من الزوال والاندثار. ومنها قول أفنيري في إحدى مقالاته في الانتخابات : "فحملته الرئيسية تظهر رجالاً ونساءً يغرزون الأوراق في حائط المبكى، يتمنون أمنيات؛ امرأة تتمنى الحصول على لقب جامعي، رجل يتمنى الزواج من رجل، جدٌ يتمنى الحصول على مالٍ لشراء هدايا لأحفاده، مسيحية تتمنى أن يُعترف بها يهودية، أم تتمنى إرسال أطفالها إلى روضة الأطفال، امرأة تتمنى الطلاق... وما هو الأمر الذي لا يتمناه أحد حسب رأي الإعلاميين؟ لقد أصبتم... السلام"³⁸

كما صدر أحد أعداد مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ 2002/04/02، وقد حمل الغلاف صورة نجمة إسرائيل، وفي داخلها السؤال التالي: "مستقبل إسرائيل... كيف سيتسنى لها البقاء؟"

ولم تتردد المجلة في أن تطرح القضية بصورة أكثر صراحة، فتساءلت:

"هل ستبقى اليهودية على قيد الحياة؟ وبأي ثمن؟ وبأي هوية؟"

ولم يمضِ وقت طويل حتى أثار الكاتب الصهيوني أبراهام بورغ القضية مجدداً في "يديعوت أحرنوت" بتاريخ 2003/08/29 كما أعرب كاتب آخر، هو يرون لندن، عن القدر نفسه من التشاؤم. ومنذ ذلك الحين، تُطرح قضية نهاية الكيان الصهيوني من زوايا ومنطلقات عدة، تكاد تخرج جميعها عن أي بادرة أمل.³⁹

ولعل أكبر دليل على هذا التخوف هو ما نسمعه في أيامنا هذه أثناء حرب طوفان الأقصى، والهجرة العكسية، التي تجعل من هذا الكيان مكاناً مستحيلاً للحياة.

المستندات الدينية:

يوظف الكاتب في هذا العنصر المعطى الديني اليهودي المنحرف كأداة لتبرير الحملة الصهيونية، ومحاولة إقناع الذات والغير بها. ولذلك فهو يعرض الدعاية الدينية والخلافات الحاخامية التي تدعو إلى الهجرة إلى "الوطن الأول الموعود" أو "أرض الميعاد"، وأن هذا حق ديني خاص بجماعة دينية هم اليهود، ولا بد من استرجاع هذا الحق وتنفيذه استجابةً لأمر الرب، وعلى الحلفاء المساعدة لتحقيق هذا الغرض.

فهم يستعملونه في ترويج الهجرة إلى فلسطين بكلمة "عالياء"⁴⁰، من فعل "يعلو"، ويريدون به الصعود إلى السماء أو الصعود لقراءة التوراة في المعبد أثناء الصلاة، والصعود إلى أرض إسرائيل بغرض الاستيطان الديني. وفي العهد القديم، يُعبر عن الذهاب إلى فلسطين بـ"الصعود إلى الأرض". ومن أغراض هذه الهجرة -حسب دعاوهم- الشفاء من الأمراض، والتخلص من الفقر، والحصول على الثواب الكبير عند الدفن فيها، أو بغرض دراسة التوراة.

ومما يبررون به عنصريتهم والزعم بنقاوة عرقهم⁴¹ تحريم الزواج المختلط، وامتداد هذا ليشمل حتى الحيوانات والنباتات. فقد جاء في سفر اللاويين: "لا تنز بهائمك وحقلك، لا تزرع صنفين، ولا يكن عليك ثوبٌ مُصنَّفٌ من صنفين". ومن تطرفهم

واستعلائهم، الزعم الذي دعمته الصهيونية، في أن الإله تربطه علاقة خاصة بالشعب اليهودي، أو كما قال بن غوريون: "إذا كان الله قد اختار الشعب، فإن الشعب قد اختار الإله"⁴².

ومن دهائهم ومكرهم للاستيلاء على الأرض إقامة شعيرة سنة "شميطاه" (إراحة الأرض)، أي إراحة الأرض من زراعتها سنةً من كل سبع سنوات، فتكون الزراعة في السنة السابعة محرمة، وتكون مشاعة في هذه السنة وغير مملوكة. ثم تأتي الدورة الكبرى كل 49 سنة ليتم الاحتفال بعام "النفير اليوبيل" في السنة الخمسين، حيث يحرر العبيد، وتعود الأرض إلى أصحابها الحقيقيين، ويقصدون بذلك أنفسهم.

وهكذا تمضي عقائدهم الخرافية في نسج أنساق ملتوية مستحيلة بسبب تفكيرهم البدائي الذاتي، المنغلق تمامًا على أنفسهم، حتى تتساقط عندما تصطدم بجدلية التاريخ. ناهيك عن اكتشاف المستوطنين الصهاينة لحقيقة أنهم مشروع زائل لا طائل من ورائه، وخاصة عند فئة الشباب الذين يستهينون بكل القيم التقليدية، ويسخرون منها، مثل: العشاء المقدس ليلة السبت وإطلاق النكات على الهولوكوست المزعوم والشعور بالضجر والملل عند زيارة ضريح "بطل ما" واستبدالهم ذلك بتناول عقارات النشوة، واستهلاك المخدرات. ويوصون الجيل الجديد بعدم الالتحاق بالجيش، وهي الأكذوبة التي مررها الآباء للأبناء. وحتى المهاجرون الجدد، سرعان ما ينصرفون عنها إذا لم يجدوا ما وعدوا به من الرفاهية العالية.

6 خاتمة

في ختام هذه القراءة، يمكن استخلاص مجموعة من الخلاصات هي:

1. يُعد هذا الكتاب بحق ملخصًا جيدًا لمجمل المشروع الفكري لعبد الوهاب المسيري في قراءة الصهيونية واليهودية واليهود، حيث تابع هذه القضايا فحصًا

وتدقيقًا. والأجمل من ذلك أنه كتبه في أواخر حياته (2006)، حيث قمة نضجه الفكري والمعرفي.

2. إن المنهج العلمي الموضوعي هو الذي سارت عليه مادة الكتاب بعامه، ونعرف هذا من خلال الحقائق المعروضة والشواهد المرافقة، والتي كانت في مجملها شواهد من بيئة موضوع الدراسة في مختلف مجالاتها السياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية والدينية والاعلامية واللغوية.

3. اعتماد المؤلف على آليه التفكير المركب لكل المفاهيم والحقائق من داخل الظاهرة، وعدم توظيفه مطلقًا آلية خارجيه مثلًا، فلم يوظف القرآن الكريم أو الحديث النبوي في وصف اليهود أو التعليق عليهم ثقافيًا أو دينيًا، ناهيك عن استعماله التحليل المقارن والموازنة في الرؤى ومقابلة الظاهرة أو الفعل النشاز بالحجة والدليل الدامغ والشرح الناصع، وبهذا تمكن من تحليل الظاهرة فرديًا وجماعيًا، وتفكيك النسق الاصطناعي وكشف زيفه، خصوصًا عند مواجهة جدلية التاريخ، ومن ثم الحكم عليها بالانتهاء والموت والزوال.

4. استعمال الكاتب لآليه لغوية رفيعة جدًا جعلتنا نستمتع ببراعة التحليل العلمي جنبًا إلى جنب مع الأسلوبية الأدبية البديعية، التي كانت تطرح جزيئات الظاهرة في شكل سردي حوارى استفهامي مشوق يغري بمتابعه القراءة.

5. توظيف الكاتب لثقافته ومعرفته الخاصة كان مضمرًا ومحيدًا تمامًا، لا يظهر إلا من خلال صوت الضمير الإنساني النزيه والشفاف.

هوامش:

¹ دار الفكر، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: 6، 2024، 1445 هـ.

² انظر مختصر سيرته التي كتبها بنفسه في موسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" المتاحة على موقع www.cia.gov

³ يشرح الأستاذ، عبد العالي زواغي، الوجه الخفي المتوحش للحضارة الغربية في مقاله، شهوة العنف والدم، تشريح الطالع الكانيبالي للحضارة الغربية، جريدة الخبر الجزائرية، العدد 11073، 5 فيفري 2025.

⁴ الصهيونية، ص: 551.

⁵ سورة العنكبوت، الآية 41.

⁶ ص: 17، وما بعدها.

⁷ ص: 46، وما بعدها.

⁸ ص: 74، وما بعدها.

⁹ ص: 120، وما بعدها.

¹⁰ ص: 155، وما بعدها.

¹¹ ص: 171، 207، 232، وما بعدها.

¹² ص: 272، وما بعدها.

¹³ يشرح الأستاذ: محمد الهادي حش، تناقض أدعاء السامية الذين لا ينتسبون أصلا إلى سام، في مقاله: "معاداة السامية" جريدة الخبر الجزائرية، العدد: 10989، 2024/10/23.

¹⁴ ص: 301، وما بعدها.

¹⁵ ص: 356، وما بعدها.

¹⁶ ص: 394، وما بعدها.

¹⁷ ص: 437، وما بعدها.

¹⁸ ص: 489، وما بعدها.

¹⁹ ص: 511، وما بعدها.

²⁰ ص: 540، وما بعدها.

²¹ ص: 139.

²² ص: 18.

²³ ص: 18.

²⁴ ص: 105.

²⁵ ص: 104.

²⁶ ص: 566.

²⁷ ص: 101 وما بعدها

²⁸ ص: 84

²⁹ ص: 90.

³⁰ يشرح الأستاذ علي الصلابي سياسية محمد علي وتولييه الحكم في مصر وتعامله مع الماسونية في كتابه: "الدولة العثمانية، عوامل النهوض و أسباب السقوط"، ص: 318، وما بعدها. دار اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 2014.

³¹ انظر: طباع اليهود وصفاتهم، في كتاب "اليهود في القرآن" العفيف عبد الفتاح طيارة، ص: 38 وما بعدها، دار العلم للملايين، بيروت، ص: 10، 1984، ط / 1، 1965م.

³² يقدم الفيلسوف "رجاء غارودي" أسباب محاربتة للنزعة الصهيونية، في كتابه: "الأساطير المؤسسة للسياسية الاسرائيلية"، ص: 16، 17، 18، 19، الغد العربي، القاهرة، ترجمة: قسم الترجمة بالدار، ط: 1، 1996م.

³³ ص: 172.

³⁴ ص: 176.

³⁵ يفصل هذه المسألة جيدا "جمال حمدان" في كتابه "اليهود انثروبولوجيا"، ص: 181 وما بعدها، دار الهلال، القاهرة، 1996، تقديم: عبد الوهاب المسيري.

³⁶ ص: 120، وما بعدها.

³⁷ ص: 128 ، 129.

³⁸ ص: 572

³⁹ ص: 53

⁴⁰ ص: 53.

⁴¹ ص: 517، 518.

⁴² ص: 522